Archive of SID

فصلية علمية - محكمة نصف سنوية، دراسات حديثة في نهج البلاغة،
السنة الأولي، العدد الثاني (المتوالي ٢)، ربيع وصيف ١٣٩٧ش.
١٤٣٩ق. (٥٠ - ٤١)

Biannual Journal *Current Studies in Nahj al- Balaghah.*

Vol. 1, No. 2, Spring & Summer 2018 (41-50)

توثيق دراسة تعاليم عصمة الأئمة في وصية الإمام علي (ع)؛ نقد نظرية عبدالرحمن الجميعان

محمود صيدي[١]، علي حسن‌نيا[٢]

١. أستاذ مساعد في قسم الفلسفة والحمكة الإسلامية بجامعة شاهد، إيران. (الكاتب المسؤول) (m.saidiy@yahoo.com)

٢. أستاذ مساعد في قسم علوم القرآن والحديث بجامعة شاهد، إيران. (a.hasannia@shahed.ac.ir)

تأريخ الاستلام: ١٤٣٩/٤/١٨ تأريخ القبول: ١٤٣٩/٦/٢١

Exploring the Doctrine of Infallibility of Imams in the Testament of Imam Ali (AS); Critical Investigation into Abd al-Rahman al-Jamiyan's Theory

Mahmoud Saidi[1], Ali Hasanniya[2]

1. Assistant Professor, Department of Philosophy and Islamic Wisdom, Shahed University (Corresponding Author) (m.saidiy@yahoo.com)

2. Assistant Professor, Department of The Qur'an and Hadith, Shahed University (a.hasannia@shahed.ac.ir)

Received: 06/January/2018 Accepted: 10/March/2018

الملخص

تعتبر وصية الإمام على إلى ابنه الحسن (عليهما السلام) واحدة من أهم رسائل نهج البلاغة، والتى تسببت فى العديد من التحديات لتعاليم عصمة الأئمة فى مذهب التشيع. فى هذا الصدد، يستنتج عبد الرحمان الجميعان أحد علماء السلفيين بتحليل هذه الرسالة، أن الأئمة ليسوا معصومين من وجهة نظر الإمام على (ع)، ويثبت عدم توافق تعاليم العصمة مع نهج البلاغة. فى هذه الدراسة، سيتم انتقاد هذه النظرية بالاستعانة بمنهج النقد الداخلى والخارجى. بينا فى النقد الداخلى أن المخاطب فى هذه الرسالة هو من بنى آدم، وأن العصمة لاتتعارض مع مفهوم الخطيئة والذنب؛ فالأوامر والنواهى الموجهة إلى المعصوم ذات جانب إرشادي والمصعوم يحتاج فى علمه اللدنى إلى الله. فى النقد الخارجى، بينا أن هذه النظرية لاتتفق مع مختلف فقرات نهج البلاغة، والتى تم من خلالها شرح تعاليم العصمة.

الكلمات المفتاحية: نهج البلاغة، العصمة، الجميعان، الإمام علي (ع)، الإمام الحسن (ع).

Abstract

Testament of Imam Ali (AS) to Imam Hassan (AS) is one of the most important letters in Nahj-ul-Balagha due to which many challenges leveled at the doctrine of infallibility of Imams in Shiite. Analyzing this letter, Abd al-Rahman al-Jamiyan, one of the Salafi's scholars, jumps to this conclusion that in Imam Ali's view, Imams are not utterly infallible. He also proves incompatibility of the doctrine of infallibility with Nahj-ul-Balagha. In the present study two critical approaches were used to scrutinize this theory. In the first approach which is an internal approach it is cogently argued that in this letter all human beings have been addressed, and infallibility does not contradict with the notion of sin. It is also claimed that promotion of good and prevention of evil which has addressed infallibles should be considered as kind of guidance, but not as a religious bidding, and the fact that an infallible person in his/her divine knowledge needs God. In the second approach analyzed by al-Jamia which is known as an external approach, al-Jamia argued that this theory is not compatible with different chapters of Nahj-ul-Balagha in which the doctrine of infallibility has been explained.

Keywords: Nahj-ul-Balagha, Infallibility, Al-Jamiyan, Imam Ali (AS), Imam Hassan (AS).

www.SID.ir

Archive of SID

المقدمة

تعتبر وصية الإمام على إلى ابنه الحسن (عليهما السلام) واحدة من أهم رسائل نهج البلاغة والتى تحتوي على تعاليم أخلاقية وتربوية هامة. وتكمن أهمية هذه الرسالة فى أن إمامًا يكتب إلى إمام آخر ومعصوم إلى معصوم آخر، موصيًا إياه بأداء الواجبات وتجنب المحظورات. فى هذا الصدد، أدت بعض فقرات هذه الرسالة إلى العديد من البحوث الكلامية بين العلماء، لأن ظاهرها لايتوافق مع عصمة الأئمة، والتى تعتبر من المعتقدات الأساسية للشيعة (مصباح يزدي، ۲۰۱۲م: ۲٤)[1]. يعتقد الشيعة أن الأنبياء (ع) بمن فيهم النبى محمد (ص) معصومون فى حياتهم عن ارتكاب أية خطيئة، كبيرة أو صغيرة، مقصودة أو غير مقصودة (مفيد، ۱٤۱۳: ٦۲) وبالتالى فإن الأئمة (ع)، الذين هم خلفاء الأنبياء (ع)، يتمتعون بمثل هذه السمة ولا يرتكبون أي نوع من الذنوب. (م. ن: ٦٥).

يتطرق عبد الرحمن بن عبد الله الجميعان، وهو عالم سلفى وهابى، إلى دراسة المعتقدات الشيعية فى كتابه "قراءة راشدة لكتاب نهج البلاغة"[2]. باستخدام مختلف فقرات هذه الرسالة، ينتقد هذا العالم مختلف التعاليم الشيعية ومبادئ معتقداتهم مثل الإمامة. فى هذا الصدد، يسعى الجميعان إلى استخدام نهج البلاغة لإثبات أن الأسس الشيعية تفتقر إلى مكانة هامة فى هذا الكتاب الشيعى المهم والقيم، وأن الشيعة لايتمتعون باستنتاج سليم من مصادرهم المعتمدة.

ومن الحالات التى تطرق فيها الجميعان إلى النقد الدقيق لتعاليم الشيعة، تعاليم عصمة الأئمة (ع) فى المذهب الشيعى. وفقًا للمعتقدات الشيعية، الأئمة (ع) مثل الأنبياء (ع)، لايرتكبون أية خطيئة كبيرة أو صغيرة فى حياتهم كلها (الصدوق، ۱٤۱٤: ۹٦) لذلك ، يحاول الجميعان إثبات أن الأئمة (ع) ليسوا معصومين من خلال تحديد عناصر ومفاهيم معينة فى نهج البلاغة. وبالتالى، يقوم بدراسة أجزاء مختلفة من هذه الرسالة خلال مراحل مختلفة (الجميعان، ۱٤۲۷: ۳۰).

من وجهة نظره، فإن المصطلحات والتعابير الواردة فى هذه الرسالة تعتبر عن عاطفة والد رؤوف عطوف على ابنه، حيث يشعر بالقلق حيال هدايته وكماله، وهو بالتأكيد أمر غير متوافق مع العصمة (الجميعان، ۱٤۲۷: ۳٤) لأن المعصوم يبلغ السعادة بسبب عصمته عن ارتكاب الذنوب.

فى هذه الدراسة، سنقوم باستخدام أسلوب الجامعان فى دراسة نقدية لنظريته فى هذا الصدد. لذلك، سنحاول استخدام نهج البلاغة لنقص حجج هذا المؤلف، على الرغم من الاستعانة ببعض الآيات القرآنية فى بعض الأحيان لتحقيق هذا الغرض.

سمات الإمام القائمة على الهداية

ومن البراهين التى يقدمها المفكرون الشيعة فى إثبات عصمة الأئمة، سمات الإمام القائمة على الهداية، بالقول أن الإمام هو قائد البشر ومرشدهم، فإذا ارتكب خطيئة أو ذنبًا، فإن طاعته غير صحيحة (كراكجى،۱٤۱۰: ۳٤۷/۱) وبعبارة أخرى، الإمام هو أمين الله سبحانه وتعالى على الدين والناس، فإذا ارتكب الأخطاء فى تطبيق الأحكام الإلهية، فلن يكون قادرًا على أن يكون إمامًا (المجلسى، د. ت: ٤۰) لذلك، يذكر القرآن دائمًا الهداية بعد الإمامة (الأنبياء: ۷۳؛ السجدة: ۲٤) (الطباطبائى، ۱٤۱۷: ۲۷۲/۱) إذا لم يكن الإمام معصومًا وارتكب الذنوب (الصغائر أو الكبائر)، فإن اقتران الإمامة بالهداية فى الآيات القرآنية لن يكون ذا معنى، لأن الله لايخبر عن أمر غير واقعى وكاذب.

ويتمثل أحد أهم أجزاء هذه الوصية فى تأكيد أمير المؤمنين (ع) على عدم استقرار الدنيا وأحداث الدهر، حيث ذكّر فيها الإمام (ع) بالوفاة والطبيعة غير المستقرة للدنيا وأحداثها؛ وبالتالى ينصح بعدم التعلق بها. من خلال تحليل هذا البند، يسعى الجميعان إلى تحديد العناصر والمفاهيم التى تنقض النظرة الشيعية لعصمة الإمام.«مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ... إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لايُدْرِكُ السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ غَرَضِ الْأَسْقَامِ ورَهِينَةِ الْأَيَّامِ ورَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ وعَبْدِ الدُّنْيَا وتَاجِرِ الْغُرُورِ وغَرِيمِ الْمَنَايَا وأَسِيرِ الْمَوْتِ وحَلِيفِ الْهُمُومِ وقَرِينِ الْأَحْزَانِ ونُصُبِ الْآفَاتِ وصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ وخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ» (الرضي، ۱٤۱٤: ۳۹۱).

۱. يعتقد بعض العلماء الشيعة أن أمير المؤمنين (ع) كتب هذه الوصية لمحمد بن حنفية (ابن طاووس، ۱۹۹٦م: ۲۱۹). ويبدو أن ابن ميثم البحراني قد قبل هذه النظرية نفسها (البحراني ،۱٤۱۷: ۱/٥). إذا كان هذا هو الحال، وبسبب عدم عصمة المرسل إليه، فلن يكون هناك أي تناقض مع عصمة الإمام. ومع ذلك، يعتقد المشهورون من المحدثين أن المرسل إليه هو الإمام الحسن (ع) (انظر: ابن شعبه الحراني، ۱٤۰٤ :٦۸ ؛ الحر العاملي، ۱٤۰۹: ۲۷/ ۱۷۰؛ المجلسي، ۱٤۰۳: ۷٤ /۱۹۸).

۲. تجدر الإشارة إلى أن السلفيين قاموا بالكثير من الدعاية حول هذا الكتاب، وفي بعض السنوات قاموا خلال فترة الحج بتوزيعه على الحجاج الإيرانيين.

www.SID.ir

Archive of SID

إن التعابير المشار إليها أعلاه تتناقض مع عصمة الإمام الحسن ابن الإمام على عليهما السلام. فكيف تتغلب شهوات الدنيا على المعصوم؟ هل يتحدث الإمام على (ع) عن أمور لايفهم معانيها وبالتالى فهى كلمات غير مجدية؟ فى هذه الحالة، لن يكون معصومًا. إذا افترضنا أن عليًا (ع) وابنه الحسن (ع) معصومان، فإن مثل هذه التفسيرات لاتتوافق مع عصمة ابنه (الجميعان، ١٤٢٧: ٢٧) وبعبارة أخرى، فإن الحجج الشيعية فى هذا الصدد تنتهكها هذه الفقرات من وصية الإمام على (ع)، لأنه إذا كانت الصفات المذكورة أعلاه صحيحة، فلن يكون لدى الإمام القدرة على توجيه الآخرين وإرشادهم لعدم تمتعه بالعصمة.

نقد عدم تمتع الإمام بسمة الهداية

يعتقد فيض الإسلام أن الإمام على (ع) يوجه هذه الوصية إلى بنى آدم وليس للإمام الحسن (ع) فحسب، حيث أن بعض الكلمات مثل عبد الدنيا وتاجر الغرور لاتتناسب وشأن الإمام (ع) ومقام عصمته (فيض الإسلام، ١٣٧٩: ٥/ ٩٠٨-٩٠٧) لذلك ، فإن هدف الإمام على (ع) فى هذه الوصية هو استخدامها من قبل كافة الأفراد. لأنه إذا كان الإمام على (ع) باعتباره إمامًا معصومًا، يعظ إمامًا معصومًا آخر، فسوف يستخدم عبارات تناسب العصمة، والتى لن تكون مفيدة للآخرين. ونظرًا لأن كلًا منهما يتمتع بالعلوم الإلهية وعدم وجود شيء مخفى عنهما، فلن تكون هذه الوصية ذات فائدة بالنسبة للآخرين، وسيزعم الآخرون أن الوصية لم تكن متعلقة بهم. ونتيجة لذلك، وعلى الرغم من أن الإمام على (ع) قد جعل ابنه المعصوم مخاطب الوصية، لكن الهدف الرئيسى هو استخدامها من قبل كافة الناس، لاسيما وأن التعبير عن صفات المخاطب يدل على أن الوصية موجهة لكل شخص لديه هذه الصفات، على الرغم من أن مخاطب هذه الوصية هو الإمام حسن (ع) (مصباح يزدي، ٢٠١٢م: ١٨-١٧).

وتنقض فقرات من نهج البلاغة استدلال الجميعان فى هذا الجزء، حيث يشبه الإمام على (ع) آل محمد بنجوم السماء الساطعة قائلًا: «إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ (ص) كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ وأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ» (الرضي، ١٤١٤: ١٤٦) إن تشبيه آل محمد بالنجوم يعنى أن هداية الأئمة الإثنى عشر لإرشاد البشر فى سبيل الله تشبه النجوم التى ترشد البشر فى ظلمات البر والبحر[١]. وكما تشرق نجمة جديدة بغروب أخرى، يحل إمام جديد خليفة للإمام الذي استشهد. وهكذا فإن هداية الأئمة دائمة (هاشمى خوئى، ١٤٠٠: ٧/١٦١).

كما يبين على (ع) حول أهل البيت قائلًا: «... هُمْ دَعَائِمُ الإسلام ووَلَائِجُ الِاعْتِصَام» (الرضى، ١٤١٤: ٣٥٨) إن أهل البيت عليهم السلام مرجع الخلق الذي يلجأ إليه المجتمع الغارق فى الجهل من عذاب الآخرة (البحرانى،١٤١٧: ٤/٥٦٦)، لاسيما وأن الاعتصام فى اللغة يعنى التمسك بشيء ما (ابن الأثير، ١٩٨٨م: ٣/ ٢٤٩)، ولذلك يتمسك الآخرون بالأئمة نظرًا لأنهم لايضلون.

وتأكيدًا على هذا الأمر، يدعو أمير المومنين (ع) الناس إلى التماس الهداية والرشد ووتجنب الضلال باتباع أهل البيت (ع) قائلًا: «... اعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَه... فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ومَوْتُ الْجَهْلِ» (الرضى، ١٤١٤: ٢٠٦-٢٠٥) ونتيجة لذلك، فإن سمة هداية الأئمة (ع) فى "نهج البلاغة" مؤكدة أيضًا وهى تثبت عصمتهم.

وقد أكد أمير المؤمنين (ع) فى خطبة أخرى على هذه السمة قائلًا: «انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ واتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى ولَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا وإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا ولاتَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا ولاتَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا.» (الرضى، ١٤١٤: ١٤٣).

بالنظر إلى ما تقدم ذكره، نلاحظ أن الفقرة الأولى من وصية الإمام على إلى ابنه الإمام الحسن عليهما السلام: "مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ... إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لايُدْرِكُ السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ غَرَضِ الْأَسْقَامِ ورَهِينَةِ الْأَيَّامِ ورَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ وعَبْدِ الدُّنْيَا وتَاجِرِ الْغُرُورِ وغَرِيمِ الْمَنَايَا وأَسِيرِ الْمَوْتِ وحَلِيفِ الْهُمُومِ وقَرِينِ الْأَحْزَانِ ونُصُبِ الْآفَاتِ وصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ وخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ." (الرضى، ١٤١٤: ٣٩١) تتناقض مع بعض العبارات في نهج البلاغة حول عصمة الأئمة. إذن، السؤال اذي يطرح

١. «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها في ظُلُماتِ الْبَرِّ والْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (الأنعام/٩٧).

www.SID.ir

Archive of SID

نفسه هو، أية من هذه الحالة نفضلة على الأخرى؟ من أهم جوانب تفضيل حديث على آخر توافقه مع القرآن: «إِنَّ عَلَى كُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً وعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نُورًا فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَخُذُوهُ ومَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعُوهُ.»(الكلينى، ۱۴۰۷: ۱/ ۶۹) بالتالى، نلاحظ أن التعابير التى تثبت عصمة الأئمة فى نهج البلاغة مرجحة على العبارات الأولى فى الوصية نظرًا لأنها تتوافق مع القرآن الكريم (لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمين) (البقرة: ۱۲۴)، كما أن عصمة الأئمة قابلة للإثبات بالبراهين العقلية، لأنهم إن لم يكونوا معصومين فلا سبب يدعونا إلى طاعتهم. إذن فإن العبارات التى تثبت عصمة الأئمة (ع) مرجحة من الجانب العقلي والنقلي.

الإمام المعصوم لايغلبه هوى النفس

من وجهة نظر الشيعة، يتمتع الإمام بمزيد من الفضيلة والتقوى أكثر من غيره من أفراد المجتمع بسبب خصوصيات التوجيه والإرشاد (الحلى، ۱۴۲۶ :۲۰۲) لذلك، لن يتعرض الأئمة لهوى النفس بسبب كونهم معصومين ولن يرتكبوا الذنوب. فى حين أن البشر الآخرين لديهم رغبات عاطفية، كما أنهم يعانون أيضًا من الذنب والخطيئة.

ويعتقد الجميعان أن هذه الحجة لاتتوافق مع تعابير الإمام (ع) الواردة فى الوصية الموجودة فى نهج البلاغة: «... غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي فَصَدَفَنِي رَأْيِي وصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ وصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لايَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ وصِدْقٍ لايَشُوبُهُ كَذِبٌ ووَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئًا لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي...» (الرضى، ۱۴۱۴: ۳۹۲-۳۹۱).

إن التعابير التى استخدمها الإمام على (ع) فى هذه الفقرة تنكر عصمته بصراحة. مثل صدق الفكر، وإبعاد هوى النفس والتفكير الصريح. إن هذه الأمور لاتنطبق على الشخص المعصوم. لأن هذه الفقرات تعبر عن أن أفكار المتحدث ليست صحيحة، وأن الأفكار الخاطئة شقت طريقها إلى داخله، مثل هوى النفس، وبالتالى الحاجة إلى الابتعاد عنه. ولهذا السبب، فإن السؤال الجوهري هو: هل يعانى المعصوم من هوى النفس الذي يقوده إلى كل جانب؟ أم أنه يتمكن من السيطرة عليه؟ (الجميعان، ۱۴۲۷: ۳۱) إذا كان هذا هو الحال، فإن النظرة الشيعية لعصمة الإمام منتهكة.

ويحذر الإمام على (ع) ابنه من اللجوء إلى الوهم والأمنيات غير المجدية لكى لايكون من الذين يمتنعون عن القيام بالأعمال الصالحة: «قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ وبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ... وإِيَّاكَ والِاتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى» (الرضى، ۱۴۱۴: ۴۰۲) بالتالى فإن تعابير الإمام على (ع) تدل على أن عدم عصمة الإمام الحسن (ع) بسبب وجود هوى النفس لديه.

كيف يمكن أن تكون الاختلافات الموجودة بين الناس خداعة بالنسبة للإمام الذي يتم تعيينه من قبل الله ويكون معصومًا عن جميع الانحرافات والأخطاء؟ «ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ.» (الرضى، ۱۴۱۴: ۳۹۴) إن عليًا (ع) يأمل أن يرشد الله ابنه. ونتيجة لذلك، فإن الأئمة ليسوا موجهين، بل إنهم فى جميع الحالات والظروف مثل البشر الآخرين، يحتاجون إلى التوجيه والإرشاد (الجميعان، ۱۴۲۷: ۳۴).

نقد عصمة الإمام من هوى النفس

وفقًا للمتكلمين الشيعة، فإن القدرة على ارتكاب الذنوب لاتتعارض مع العصمة. بالتالى، يمكن للشخص المعصوم أن يتخيل أو يفكر بأشياء مختلفة لاتتناقض مع عصمته. إن فعل الخطيئة يتناقض مع العصمة. ونتيجة لذلك، لاتتناقض عبارات مثل صدق الفكر، وإبعاد هوى النفس والتفكير الصريح مع عصمة المخاطب.

ولا يتطلب هذا النوع من التعابير أن لايكون أمير المؤمنين (ع) قبل كتابة هذه الوصية عالمًا بالدنيا والآخرة أو الموت، بل إنه كان على علم بها دائمًا، لكن هذه الحالة تصبح أقوى فى مرحلة الشيخوخة وتجعل الإنسان يشعر بآخرته (ابن أبى الحديد،۱۴۰۴: ۱/۵۸) ومما يدل على هذا الأمر تعبير أمير المؤمنين (ع) عن سبب قبول الخلافة بالتفصيل، مبينًا أن الدنيا لاتساوي عنده أكثر من عفطة عنز «... لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ» (الرضى، ۱۴۱۴: ۵۰) ولذلك فإن التعابير التى يستدل بها الجميعان فى هذا الجزء، لاتبين عدم عصمة الإمام، بل تبين غلبة التفكير بالله (ابن أبى الحديد،۱۴۰۴: ۱۶/ ۶۰-۵۹) وتراجع التفكير بالدنيا وشؤونها.

www.SID.ir

Archive of SID

إن عبارات "قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ" "وَ بَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ" هى عبارات شرطية. من الجانب المنطقى، لايتوقف صدق العبارة الشرطية على صدق المقدم أو التالى لوحده، بل يتوقف على صدق الشرط (ابن سينا، ١٤٠٥: ٣٤) ومن هذا المنطلق، فإن مضمون هذا النوع من القضايا لاينطوي على عدم كون المخاطب من أهل الخير أو كونه من أهل الشر، بل تبين حكمًا عامًا (المازندرانى، ٢٠٠٣م: ٢٤٣/١) أي أن من يجالس أهل الخير يصبح منهم ومن يبتعد عن الأشرار لايكون منهم.

بناءً على هذا المعنى، فإن قضية "وَ إِيَّاكَ والِاتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى" قضية شرطية، بالتالى فإنها لاتتطلب صدق المقدم أو التالى فى المخاطب. ولهذا المدعى شاهد قرآنى: «لَوْ كانَ فيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتا» (الأنبياء: ٢٢) ولكى تكون هذه الآية صادقة، لايتطلب الأمر وجود إلهين فى السماء والأرض، رغم أنها قضية شرطية صحيحة.

فى التعابير التى يستخدمها أمير المؤمنين (ع) حول أهل البيت، ينفى عنهم أي نوع من هوى النفس، الاشتباه فى الأمور والاختلاف فى وجهات النظر والعقيدة [والناجم عن هوى النفس]: «هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ومَوْتُ الْجَهْلِ يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ لايُخَالِفُونَ الْحَقَّ ولايَخْتَلِفُونَ فِيهِ... وانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ وانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ» (الرضى، ١٤١٤: ٣٥٨-٣٥٧). إن هذه التعابير، أي حياة المعرفة وفناء الجهل، عدم معارضة الحقيقة وعدم وجود اختلاف حولها، وعودة الحقيقة إلى مكانها من جانبهم، واجتثاث الباطل من جذوره، تدل على وجود علم يقينى وعدم وجود هوى النفس. ونتيجة لذلك، لايتأثر الأئمة بالرغبات العاطفية وهوى النفس وبالتالي فهم معصومون.

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

إذا ارتكب الأئمة خطيئة، فيجب أن يكونوا خاضعين للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أمر عام ولا يقتصر على شخص معين أو جماعة محددة، وفى هذه الحالة لن تكون الإمامة لائقة بهم، وبالتالى لايجب اتباعهم (الحلى، ١٤١٣: ٣٦٤)

ويأخذ الجميعان هذا الأمر بعين الاعتبار، فيبين عدة فقرات من نهج البلاغة لنقضه: «فَإِنِّى أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَيْ بُنَيَّ ولُزُوم أَمْرِهِ وعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ والِاعْتِصَام... فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ ولاتَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ ودَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لاتَعْرِفُ والْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ وأَمْسِكْ عَنْ طَرِيق إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ» (الرضى، ١٤١٤: ٣٩٢).

لماذا يوصى معصوم معصومًا آخر بعمل الخير، بينما يعلم أن جميع أفعاله صحيحة وأنه لايرتكب خطيئة أو ذنبًا؟ والسؤال الأكثر أهمية هو، لماذا يوصى على (ع) الحسن (ع) بتقوى الله وتلبية وصاياه، ثم يرشده لإحياء قلبه من خلال الوعظ؟ ألا يتبع المعصوم دومًا فى سلوكه منهجًا محددًا ويمارس أفعاله وفقًا له؟ وبعبارة أخرى، فإن الشخص المعصوم لديه دائما طريقة محددة فى حياته ولا يعانى من الرغبات العاطفية وهوى النفس (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٢) لذلك، فإن نصيحته بتقوى الله لامعنى لها هنا.

والأهم من ذلك أن الإمام عليًا (ع) يتطرق لتعابير مثل النهى عن بيع الدنيا بالآخرة والتحدث عن الأمور التى ليس للإنسان معرفة بها، مما يثبت أن الإمام ليس معصومًا (م. ن: ٣٢) بتعبير آخر، من الممكن أن يخالف الحسن (ع) هذه الأمور ولذلك قام على (ع) بتوصيته بتجنب مخالفتها.

ينصح الإمام على (ع) ابنه بالاكتفاء بما فرضه الله تعالى والأخذ بما مضى عليه الأولون والصالحون من أهل البيت: «واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِى تَقْوَى اللَّهِ والِاقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ والْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ والصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ.» (الرضى، ١٤١٤: ٣٩٤) ثم يقول الإمام على (ع) بأن كل عمل يحتاج إلى تفكير وتدبير. ولذلك لايجب انتظار الوحى الإلهى: «مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ وفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ» (الرضى، ١٤١٤: ٣٩٤؛ الجميعان، ١٤٢٧: ٣٥).

ويتابع الإمام على (ع) نصيحة ابنه بتجنب الوقوع فى الشبهات قائلًا: «فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفَهُّم وتَعَلُّم لابِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ وعُلَقِ الْخُصُومَاتِ» (الرضى، ١٤١٤: ٣٩٥-٣٩٤)؛ «فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ وتَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ ولَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ والْإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ.» (الرضي،

www.SID.ir

Archive of SID

١٤١٤: ٣٩٥) الشبهة عمل لايدرك الإنسان صحته من عدمها أو حلاله من حرامه. ولكن السؤال هو: هل يقع الإمام المعصوم فى الشبهات؟! هل يمكن لهوى النفس أن يضلله كما يفعل بالآخرين من بنى آدم؟! إذا لم يكن الأمر كذلك، فما هو معنى كلام الإمام على (ع) الموجه إلى ابنه؟ (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٥).

وبالتالى ونظرًا لوجود هذه التعابير فى وصية الإمام على (ع)، فإن الإمام الحسن (ع) غير معصوم ووجهة نظر الشيعة خاطئة فى هذا المجال.

تناسب الأوامر والنواهى مع عصمة الإمام

يبدو أن الأوامر والنواهى التى تخاطب الإمام المعصوم، لاتعنى انتهاك عصمته، بل إنها خبر لأتباعه الذين لايتخطونها أبدًا. ولذلك، فإن اتباع البشر الآخرين سيعطى الأولوية لهذه المسائل. إن المبدأ التوجيهى مقابل للمولوي وليس المقصود منه تحفيز المكلف على فعل الواجبات وترك المحظورات، بل الغرض الوحيد منه هو توجيهه إلى مصلحته فى المأمور به ومفسدته فى المنهى عنه (الصدر، ١٤٠٨: ٤/٤١٣) ومن هذا المنطلق، فإن حقيقة الحكم الإرشادي تكمن فى توجيه المرء إلى مصلحته فى المأمور به ومفسدته فى المنهى عنه (الحكيم، ١٤١٤: ٥/ ٢٦٦) إن هذه الأوامر والنواهى إرشادية وليست مولوية، وبالتالى فإن سبب صدورها يكمن فى دفع المكلف إلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وهذا لايتعارض مع عصمة الأئمة (ع).

فضلًا عن ذلك، يزعم المتكلمون الشيعة أن العصمة لاتتنافى مع القدرة على ارتكاب الخطايا. لهذا السبب، يستحق المعصومون الثناء على تجنب ارتكاب الخطايا. وبخلاف ذلك، فهو لايخضع للواجبات الدينية، ويتم إبطال جانبه الإنسانى. فى حين أن المعصوم هو أيضًا مكلف مثل البشر بالتقيد بالواجبات وترك المحظورات (الحلى، ١٤١٣: ٣٦٥) ونتيجة لذلك ، فإن سبب توجيه الأوامر والنواهى إلى المعصوم يكمن فى قدرته على فعل الخطايا (المفيد، ١٤١٣: ١١٥) والنتيجة هى توجيه النصيحة من قبل الإمام على (ع) إلى ابن الحسن (ع) ليست متناقضة مع العصمة.

إن الفقرات التي يستشهد بها الجميعان في نقد وجهة النظر الشيعية حول المعصوم، تتناقض مع آيات من القرآن الكريم. وتجمع كافة الفرق الإسلامية على أن النبى محمد (ص) معصوم عن ارتكاب المعاصى والخطايا (الرازي، ١٩٨٦: ٢/ ١١٦-١١٥)، وعلى الرغم من ذلك فإن الله سبحانه وتعالى يأمره بفعل الواجبات وترك المحظورات حيث يقول: «اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وأَقِمِ الصَّلاة.» (العنكبوت: ٤٥)؛ «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ولاتُطِعِ الْكافِرِينَ والْمُنافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيمًا حَكِيما.» (الأحزاب:١)؛ «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ وأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث» (الضحى: ١١-٩) ألم يكن رسول الله (ص) يتلو الوحى الإلهى على الناس؟ ألم يكن تقيًا ويتجنب اتباع الكفار والمنافقين؟ ألم يتجنب قهر اليتيم ونهر السائل؟ فلماذا إذن يوجه تعالى هذه الأوامر إلى رسول وهو أكثر المعصومين كمالًا؟ نستنتج أن هذه الآيات لاتتناقض مع عصمة النبى محمد (ص)، وبالتالى فإن الفقرات التى يستشهد بها الجميعان فى نقد وجهة النظر الشيعية حول المعصوم لاتنفي عصمة الأئمة.

علم الإمام ليس كسبيًا

الإمام عالم فيما يتعلق بشؤون الإمامة، وكيفية إدارة الشؤون الإنسانية والشريعة، ويتم إثبات مثل هذا الرأي بعقلانية (الطوسى،١٤٠٦: ٣١٠) لهذا السبب، وفقًا لوجهة نظر الشيعة ، فإن الأئمة (ع) مثل النبى محمد (ص)، يتمتعون بالعلم الغيبى واللدنى. وهكذا فكلما أرادوا يكون هذا العلم فى متناول يدهم بإذن الله (خرازي ، ١٤٢٠: ٢/ ٤٦) وقد ذكر هذا الأمر أيضًا فى بعض روايات الشيعة: «إِذَا أَرَادَ الْإِمَامُ أَنْ يَعْلَمَ شَيْئًا أَعْلَمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ.» (الكلينى، ١٤٠٧: ١/ ٢٥٨) فى وجهة النظر الشيعية، لايحتاج الأئمة بسبب هذا العلم إلى التعلم، وبسبب كون هذا العلم إلهيًا، فليس هناك أي خطأ أو شبهة فى علمهم، لأن الخطأ والشبهة موجودان فى العلوم الكسبية والإنسانية، وليس فى العلوم الإلهية واللدنية. نتيجة لذلك، وبسبب عدم وجود خطأ فى علم الأئمة، فهم لايرتكبون الخطيئة أو الذنوب.

يرى الجميعان أن هذا الأمر لايتفق وبعض الفقرات فى نهج البلاغة: «...تَفَقَّهْ فِي الدِّين... وأَكْثِرِ الِاسْتِخَارَةَ.» (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٣-٣٩٢)، لأن عبارة "تَفَقَّهْ فِي الدِّينِ"

www.SID.ir

Archive of SID

أمر بالتفقه والتعلم فى الدين أو كونه كسبيًا وهذا يتناقض مع العلم اللدنى للإمام (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٣).

وتؤيد عبارة "أَكْثِرِ الِاسْتِخَارَةَ" هذا الأمر. يتم اللجوء إلى الاستخارة لطلب المساعدة والإرشاد من الله سبحانه فى المجالات مختلفة للوصول إلى الطريق الصحيح والقويم. إذا كان للإمام علم لدنى، فهذا يعنى أن للستخارة معنى. ومن ثم فإن الاستخارة تشير إلى أن الأئمة لم يكونوا يعتبرون أنفسهم معصومين (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٣).

ويبين الإمام على (ع) أنه علم ابنه أولًا كتاب الله وشريعة الإسلام وأحكامه: «أَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ وتَأْوِيلِهِ وشَرَائِعِ الإسلام وأَحْكَامِهِ وحَلَالِهِ وحَرَامِهِ.» (الرضى، ١٤١٤: ٣٩٤) إذا كان الإمام على معرفة بجميع العلوم، فما حاجة الإمام الحسن (ع) إلى العلم الذي علمه إياه والده؟ (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٤).

ويطلب الإمام على (ع) من ابنه أن يفهم وصيته جيدًا ويصغى إلى كلامه ويأخذه على محمل الجد قائلًا: «فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي.» (الرضى، ١٤١٤: ٣٩٥) هذا التعابير تشير إلى أن الإمام الحسن (ع) لم يكن يعرف كل شيء، بل هناك أشياء لايعلم بها ويتعلمها من الآخرين: « فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ...» (الرضى، ١٤١٤: ٣٩٥) تفيد هذه العبارة بأن بعض العلوم لم يكن متاحًا للإمام الحسن (ع) (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٦).

و يؤكد الإمام على (ع) أن الحسن(ع) مثل سائر البشر ولد ولم يكن يعرف شيئًا، فتعلم وتقدم فى علمه: «فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلًا ثُمَّ عُلِّمْتَ» (الرضى،١٤١٤: ٣٩٥) ويؤكد الإمام على (ع) على هذا الأمر قائلًا «وَ مَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ ويَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ ويَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ.» (الرضى، ١٤١٤: ٣٩٥) مما يدل على الجهل ببعض الأمور والحيرة والضلال ثم إدراكها، وهذا ما ينفى عصمة المخاطب (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٧)[1].

وبناءً على ذلك، ونظرًا لأن الإمام الحسن (ع) غير معصوم، فإن الإمام على (ع) يعظه باتباع سنة النبى محمد (ص) لأجل النجاة مثل سائر المسلمين: «وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ [ص] فَارْضَ بِهِ رَائِدًا وإِلَى النَّجَاةِ قَائِدا.» (الرضى،١٤١٤: ٣٩٦؛الجميعان، ١٤٢٧: ٣٧).

بما أن الإمام عليًا بن أبى طالب (ع) لايثق بمستقبل ابنه، فإنه يعظه بتوحيد الله ومبادئ الدين وأصوله، حتى تلك المبادئ البسيطة التى يعرفها كل مسلم، مثل التوحيد والتفكر والتدبر فى الأعمال والمخلوقات، ويذكره بصفة الأول والآخر: «وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ ولَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وسُلْطَانِهِ ولَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وصِفَاتِهِ ولَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لايُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ ولايَزُولُ أَبَدًا ولَمْ يَزَلْ أَوَّلٌ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ وآخِرٌ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ عَظُمَ [أَنْ تُثْبَتَ] عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ.» (الرضى، ١٤١٤: ٣٩٦) وفضلًا عن ذلك، يؤكد على (ع) على تعلم ابنه من هذه الجمل والعبارات: «فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ... .» (الرضى، ١٤١٤: ٣٩٦) فهل يحتاج الإمام الحسن (ع) إلى مثل هذا التذكير مثل أي إنسان آخر؟ (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٦؛ الجميعان، ١٤٢٧: ٣٨).

نقد علم الإمام الكسبى

على الرغم من أن علم الإمام يعتمد على إرادته، إلا أن إرادته تتماشى مع إرادة الله وغايته، ولن يريد إلا ما يريد الله (جوادي آملى، ٢٠١٠م :٢٢٠) هناك نقطة أخرى وهى أن العلم اللدنى لايعنى العلم بأكمله منذ البداية، ولذلك يحتاج الإمام دائمًا إلى الله فى علمه. ولذلك، فإن الأمر بالتعلم ينطوي على إرادته كما أن الاستخارة تنطوي على الإرادة الإلهية بعلم الأئمة (ع) أما بالنسبة لعلم الإمام اللدنى، فإن معناه إنكار تعلم الإمام من إنسان آخر، وبالتالى لايتعارض علمه مع علم إمام آخر. ولأن الإمام يجب أن يكون أكثر فضيلة من البشر الآخرين، ففى تعليم العلوم، يكون المعلم ذا فضل أكثر من المتعلم. فى هذا الصدد، فإن وصايا هذا الجزء إرشادية، وهى تهدف إلى التوجيه إلى حكم العقل فى هذا المجال، لأن العقل البشري، وبغض النظر عن الشريعة،

---

١. إن الفقرات التي يستدل بها الجميعان تتناقض مع الآية الكريمة التي تقول: «ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ ولاَ الْإِيمانُ ولكِنْ جَعَلْناهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيم.»(شورى: ٥٢). وكما أن هذه الآية لا تتناقض مع عصمة النبي محمد (ص)، فإن الفقرات المذكورة لا تتناقض مع عصمة الأئمة. تفيد هذه الآية الكريمة بأن النبي لم يكن عالمًا لوحده بل استمد علمه من الله تعالى (الطباطبائي، ١٤١٧: ١٨/٧٧). وهكذا فإن الفقرات المذكورة تبين أن علم الأئمة مستمد من الله سبحانه وتعالى.

www.SID.ir

Archive of SID

يعترف بالتعلم وتوحيد الله وعدم الشرك به.

ويرفض أمير المؤمنين (ع) فى فقرات من نهج البلاغة كون علم أهل البيت (ع) كسبيًا فيقول: «عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وعَايَةٍ ورِعَايَةٍ لاعَقْلَ سَمَاع ورِوَايَةٍ فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْم كَثِيرٌ ورُعَاتَهُ قَلِيل.» (الرضى، ١٤١٤: ٣٥٨) "وعاية" تعنى الحفظ والفهم (أزدي، ٢٠٠٨م: ١٣٣٣)، وبما أنها تقابل "سَمَاع" و"رِوَايَةٍ" فى هذا النص، فإن المقصود بالوعاية هو العلم غير الكسبى الذي لايحتاج إلى التعلم.

ووصف الإمام على (ع) فى خطبة أخرى أهل البيت (ع) كمايلى: «هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ ولَجَأُ أَمْرِهِ وعَيْبَةُ عِلْمِهِ ومَوْئِلُ حُكْمِهِ وكُهُوفُ كُتُبِهِ وجِبَالُ دِينِهِ بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ وأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِه» (الرضى،١٤١٤: ٤٧).

بالإضافة إلى ذلك، يعتبر الإمام على (ع) فى "نهج البلاغة" علم الإمام واحدًا من الشروط الأساسية بالإضافة إلى سماته الهامة الأخرى مثل عدم الإهمال وتجنب الظلم والرشوة (الرضى، ١٤١٤: ١٨٩) وبالنظر إلى هذه الشروط والأحكام ، فإن الإمام أكثر فضلًا من الآخرين وهو متفوق عليهم فى هذا المجال. إذا كان الإمام بحاجة إلى أن يكون لديه معلم، فلن يكون أفضل من جميع أفراد المجتمع، لأن معلمه سيكون أكثر فضيلة فى العلم والكمال.

بالنظر إلى ما تم ذكره، كيف يمكن للمرء أن يعتقد بأنه أمير المؤمنين (ع) فى نهج البلاغة لديه منهج كسبى فى العلم؟

ووفقًا للنقاط الواردة فى الأقسام السابقة، فإن توجيه الأوامر والنواهى إلى الإمام لايتناقض مع عصمته وسماته الأخرى مثل العلم اللدنى، لأن العصمة لاتعنى نفى القدرة والاختيار. لذلك، فإن المعصوم مكلف بالتفقه فى الدين.

ومن الفقرات التى استشهد بها الجميعان، تعليم الإمام على (ع) القرآن والشريعة الإسلامية لابنه (الرضى، ١٤١٤: ٣٩٤) ووفقًا للحجة التى تنطوي على أفضيلة الإمام، فإن تعلم المعصوم من معصوم آخر يُنظر إليه على أنه أفضلية، وبالتالى فإن إمامته مرفوضة. ومع ذلك، فى تعليم الإمام لإمام آخر، لن تحدث مثل هذه القضية. وكما ذكر فى بعض هذه الفقرات، لم يتم تحديد معلم الحسن (ع): «عُلِّمْتَ؛ تُبْصِرُهُ» (الرضى، ١٤١٤: ٣٩٥) حيث استخدمت أفعال مجهولة.

وفقًا لهذه النقاط المنصوص عليها في نهج البلاغة، فإن الإمام ليس مثل غيره من الناس فى المجتمع: «لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ (ص) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ ولايُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدا» (الرضي، ١٤١٤: ٤٧).

الإمام ليس ظالمًا

من أهم حجج المفكرين الشيعة قول الله تعالى "لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ." (البقرة: ١٢٤) تبين هذه الآية الكريمة قضية دائمة (الحلى، ١٤٠٩: ٢٧٦) ومن هذا المنطلق، يجب أن يكون الإمام معصومًا طوال عمره، وبما أن حرف "لا" فى الآية المذكورة يلعب دور النفى (عاس،١٤٢٥: ٥٣/١)، فلا يمكن أن يكون الإمام ظالمًا، وبالتالى فإن ارتكابه لأي ذنب يتناقض مع مفهوم الآية الكريمة.

وينهى الإمام على (ع) فى فقرات من وصيته ابنه الحسن (ع) عن الظلم ويدعوه إلى الإحسان: «وَ لاتَظْلِمْ كَمَا لاتُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْك.» (الرضى، ١٤١٤: ٣٩٧) فهل هناك تفسير أوضح من ذلك يثبت بأن الإمام عليًا لايعتبر ابنه معصومًا عن الخطأ؟ لأن النهى عن ارتكاب الظلم يوحى بأن المخاطب قد يرتكبه (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٨) ومن ثم فإن الاستدلال المذكور أعلاه فى إثبات عصمة الإمام ينتهك مبادئ الشيعة ومعتقداتهم في نهج البلاغة.

نقد إمكانية ارتكاب الظلم من قبل الإمام

يقسم الظلم فى "نهج البلاغة" إلى ثلاثة أنواع: الظلم الذي لايقبل المغفرة وهو الشرك بالله، والذي يقبل المغفرة مثل الظلم الذي يرتكب فيه الإنسان الخطايا بحق نفسه، وظلم بعض الناس لبعضهم الآخر وهو مشمول بالقصاص (الرضى، ١٤١٤: ٢٥٥) إذا ارتكب المرء أيًا من هذه الأنواع من الظلم فهو لايستحق الإمامة، والآية ١٢٤ من سورة البقرة تثبت ذلك. ويصف أمير المؤمنين (ع) أهل البيت فى نهج البلاغة كمايلى: «لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ ولايَخْتَلِفُونَ فِيه» (الشريف الرضى، ١٤١٤: ٣٥٨) ويتطلب هذا الأمر أن يكون الإمام عادلًا غير ظالم، لأن الظالمين على خلاف مع العادلين.

وفى هذا الصدد، فإن النهى الوارد فى العبارة التى استدل بها الجميعان لاتعنى الاتصاف بالظلم أو عدم فعل الخير والإحسان، بل بعدم الاتصاف بالظلم وفعل العمل الصالح. بينا فى الأقسام السابقة أن توجيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الأئمة

www.SID.ir

Archive of SID

لايتنافى مع عصمتهم. وبالتالى، فإن النهى عن الظلم لايعنى الاتصاف به. وبعبارة أخرى، فإن النهى فى هذه العبارة ذو طابع إرشادي، لأن شر الظلم وقبحه واضح. ونتيجة لذلك، فإن النهى فى هذه العبارة هو توجيه لهذا الحكم العقلانى، وبالتالى لايعنى أن مخاطب الوصية، أي الإمام حسن (ع)، ظالم.

وهذه الفقرة من نهج البلاغة تشبه الآية القرآنية التى تقول: «وَ أَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ولاتَبْغِ الْفَسادَ فِى الْأَرْض.» (القصص: ٧٧) إن أمر النبى محمد (ص) بالإحسان ونهيه عن الفساد لايعني اتصافه بأضدادها ولا يتنافى مع عصمته.

الخاتمة

تطرق عبد الرحمن الجميعان، وهو من الكتاب السلفيين، إلى تحليل وصية الإمام على لابنه الحسن عليهما السلام، ساعيًا إلى إثبات عدم توافق تعاليم المذهب الشيعى مع هذه الوصية. يرى الجميعان فى هذه الوصية ووفقًا لبعض فقرات نهج البلاغة، أن الموصى والموصى كلاهما من أبناء آدم وغير معصومين عن ارتكاب الخطيئة. بأخذه لهذه الأمور بعين الاعتبار وربطها بالحجج الشيعية فى إثبات عصمة الأئمة، يسعى الجميعان إلى تضخيم هذا التناقض الداخلى.

وبالنظر إلى حقيقة أن حجج الجميعان فى هذه النظرية مبنية على نهج البلاغة، فإن الدراسة الحالية التى تركزت على هذا الكتاب، أثبتت عدم صحة نظرية هذا الكاتب السلفى باستخدام عبارات نهج البلاغة، لأن تعاليم العصمة مشروحة ومفسرة فى أنحاء مختلفة من هذا الكتاب. ومع ذلك، فإن بعض الآيات القرآنية الكريمة موجهة أيضًا إلى النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

المصادر

القرآن الكريم.

ابن الاثير، مبارك بن محمد (١٩٨٨). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. قم: مؤسسة إسماعيليان المطبوعاتية.

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبه الله (١٤٠٤). *شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد*. قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي.

ابن شعبة حراني، حسن بن على (١٤٠٤). *تحف العقول عن آل الرسول (ص)*. قم: مجمع المدرسين.

ابن سينا، حسين بن عبد الله (١٤٠٥). *منطق الشفاء*. قم: المرعشي النجفي.

ابن طاووس، علي بن موسى (١٩٩٦م). *كشف المحجة لثمرة المهجة*. قم: بوستان كتاب.

بحراني، ابن ميثم (١٤١٧). *شرح نهج البلاغة، ترجمة: محمدي مقدم ونوابي*. مشهد: مجمع البحوث الإسلامية.

الجميعان، عبد الرحمان بن عبد الله (١٤٢٧). *قراءة راشدة لكتاب نهج البلاغة*. كويت: بيت التمويل الكويتي.

حلي، حسن بن يوسف (١٤٢٦). *تسليك النفس إلى حظيرة القدس*. تحقيق فاطمه رمضانى. قم: مؤسسة الإمام الصادق (ع).

------. (١٤٠٩). *الألفين*. قم: هجرت.

------. (١٤١٣). *كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد*. تصحيح حسن‌زاده آملى. قم: موسسه النشر الإسلامى.

حر عاملي، محمد بن حسن (١٤٠٩). *تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة*. قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

الحكيم، سيد عبد صاحب (١٤١٤). *منتقى الاصول*. قم: انتشارات امير.

جوادي آملي، عبد الله (١٣٨٩). *مماثلة القرآن وأهل بيت عليهم السلام*. قم: اسراء.

خرازي، محسن (١٤٢٠). بداية المعارف الالهيهٔ فى شرح عقائدالاماميه للمظفر. قم: نشر اسلامى.

دعاس، حميدان قاسم (١٤٢٥). *إعراب القرآن الكريم*. دمشق: ناشر دار المنير ودار الفارابى.

رازي، محمد بن عمر (١٩٨٦). *الأربعين فى أصول الدين*. حسين محمد امبابى. القاهرة: مكتبة الكليات الازهرية.

الشريف الرضي، محمد بن حسين (١٤١٤). *نهج البلاغة*. تصحيح صبحي صالح. قم: هجرت.

شهيدي، جعفر (١٩٩٩م). *ترجمة نهج البلاغة*. طهران: شركة النشر العلمي الثقافي.

صدوق، ابن بأبويه قمي (١٤١٤). *الاعتقادات*. قم: المؤتمر العالمي للشيخ المفيد.

صدر، محمد باقر (١٤٠٨). *مباحث الاصول*. قم: مكتب الإعلام الإسلامي.

الطباطبايي، سيد محمد حسين (١٤١٧). *الميزان في تفسير القرآن*. قم: مكتب النشر الإسلامي التابع لمجمع

www.SID.ir

Archive of SID

مدرسي الحوزة العلمية في قم.

طوسي، محمد بن حسن (١٤٠٦). *الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد*. بيروت: دار الأضواء.

فيض الإسلام الإصفهاني، علي‌نقي (٢٠٠٠م). *ترجمة وشرح نهج البلاغة*. طهران: مؤسسة چاپ ونشر تأليفات فيض الإسلام.

كراجكي، محمد (١٤١٠). *كنز الفوائد*. قم: انتشارات دار الذخائر.

كليني، محمد بن يعقوب (١٤٠٧). *الكافي*. طهران: دار الكتب الإسلامية.

مازندراني، محمد صالح بن احمد (٢٠٠٣م). *شرح الكافي لأصول والروضة*. طهران: المكتبة الإسلامية.

مفيد، محمد بن محمد بن نُعمان (١٤١٣). *المسائل العكبرية*. قم: المؤتمر العالمي للشيخ المفيد.

مجلسي، محمد باقر (د. تا). *حق اليقين*. طهران: انتشارات اسلاميه.

------. (١٤٠٣). *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مصباح يزدي، محمد تقي (٢٠٠٢م). *النصية الخالدة: شرح وصية أمير المؤمنين علي (ع) إلى ابنه الإمام الحسن المجتبى (ع)* المؤلف: علي زينتي. قم: دار المؤسسة إمام خمينى(ره) التعليمة البحثية.

مفيد، محمد بن نعمان (١٤١٣). *أوائل المقالات في المذاهب والمختارات*. قم: المؤتمر العالمي للشيخ المفيد.

هاشمي خويي، ميرزا حبيب الله (١٤٠٠). *منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة*. طهران: المكتبة الإسلامية.

www.SID.ir